بسم الله الرحمن الرحيم

# ملخص كتاب سابغات-صناعة المُحاور

بالنسبة للدكتور على العمري فإن الكتاب تميز بالحداثة لأنه يقرأ ما يدور داخل أدمغة شباب العصر من شبهات يثيرها المشككون، وتميز بالواقعية لأنه كتب بعد خبرة ميدانية على أرض الواقع.

ملحوظات:

١. التلخيص مقسم إلى أربعة أجزاء في كل جزأ مجموعة من الأفكار الرئيسية، ستجد كل فكرة رئيسية مظللة باللون الأصفر هكذا. والأفكار الرئيسية تنقسم إلى أفكار فرعية مكتوبة باللون الأحمر هكذا.
٢. الملخص ١٧ صفحة والكتاب كله ١٧٠ صفحة فهو مختزل إلى العشر تقريبًا.
٣. طريقة مذاكرة الملخص، وأي مذاكرة جادة ينبغي أن تكون كالتالي:
   - لابد أن تقرأ الكتاب كله على الأقل مرة واحدة، والأفضل ثلاث مرات
   - تقرأ الملخص كله ثلاث مرات
   - تقرأ كل جزأ من أجزاء الملخص ثلاث مرات
   - تقرأ كل فكرة رئيسية من أفكار كل جزأ ثلاث مرات
   - تذاكر كل فكرة فرعية ثلاث مرات
٤. يمكنك نشر الملخص في أي مكان، ويمكنك أن تنشر ما تريده منه، ولا يشترط العزو إلى صاحب الملخص، وأنا أحثك على النشر فلا تظن أن الحق معروف مشهور بل هو خفي في وسط الباطل المتبجح.
٥. هذا الملخص هو اجتهاد شخصي، وقد زدت فيه معلومات من قراءات أخرى، ووراد جدًا الخطأ فإن ظهر ذلك لك، فلا تتردد في إعلامي به.

مصطفى صقر

٢٦ ربيع آخر ١٤٤٠ هجريًا

# الجزأ الأول

## ١-المقدمة

سابغات ترجع في أصلها إلى الدروع التي كان يصنعها نبي الله داوود ليتقي بها البأس في الحرب، والحرب في عصرنا اليوم حرب فكرية تشكيكيه على ثوابت الإسلام وأصوله، والكتاب يريد أن يحصن القارئ بسابغات فكرية تجاه تلك الحرب الضروس.

## ٢-عشرة معالم وسمات للموجة التشكيكية المعاصرة

١. موجة هدميه لا بنائية، حيث لا تقرر فكرة الإلحاد الرئيسية من عدم وجود الإله، وإنما تشكك في الأديان وتستهزئ بمعتقداتها.
   - ريتشارد دوكينز المستهزئ من رحلة الإسراء والمعراج وليس عنده حل لمشكلة نشأة الكون غير احتمالية إنشاءه من قبل حضارة مغايره! وما قاله للفيزيائي ستيفن واينبرج عن نظرية تعدد الأكوان يبين مدى اضطرابه.
   - يعتبر مشروع عدنان إبراهيم هدمي؛ لأن متابعه لا يملك رؤية واضحة منهجية تجاه الموضوعات التي يتناولها الدكتور كالموقف من السنة مثلا وتحديدًا البخاري.

٢. أسئلة هذه الموجة مفتوحة دون حدود.

٣. شعاراتها عامة مجملة جدًا مثل تحرير العقل، نقد الموروث، الحرية، الخلاص من الوصاية، المشكل هو أن الإجمال هذا يؤدي إلى فساد مثل إنكار السنة كلها تحت دعوي نقد الموروث.

٤. التأثر بها يكون خفيًا لا معلنا.

٥. ميدان هذه الشبهات هو شبكات التواصل.

٦. هذه الموجة تشكك في الثوابت فمن تأثر بها يقع في الكفر وهذا يبين مدي خطورتها!

٧. المتأثرين بها هم الشباب ومشكلة ذلك أن الشباب سيكونون غدًا في مرحلة بناء وتربية!

٨. المتأثرون بالموجة منهم العبثيون ومنهم الباحثون عن الحقيقة.

٩. أصحاب الموجة منهم هدامون مستفيدون من تردي أحوال أهل الإسلام ومنهم متأثرون بنموذج الثقافة الغربي فينكرون الثوابت تجميلاً وتماشيًا مع هذا الأنموذج.

١٠. أسئلة هذه الموجة هي تتكرر على الألسنة لا لتفكير وإنما لانتشارها بسهولة عبر وسائل التواصل.

هدم مفتوح ذا شعار مجمل # خفي على الشباك يطعن في الأصول

وشاب عبثي مدع البحث # ضعيف هدام يكرر

## ٣-الخير المنطوية عليه هذه الحملة التشكيكية:

١. لا يعرف الإسلام حق المعرفة كالذي عرف الجاهلية، فرد الفعل إن شاء الله سيكون إسلام يقيني قوي.
٢. انتشار روح البحث والمناظرة.
٣. استنهاض الهمم وبث العلم ونشره.
٤. تجديد وتحسن أساليب الخطاب الدعوي.

## ٤-أسباب التأثر السلبي بالموجة الإلحادية:

مؤثرات خارجية

١. شبكات التواصل التي مهدت الجسور بين الشبهات القديمة وبين الناس، ويسرت لصاحب الشبهة نشرها، ولطالب الشهرة المخالفة لأجل الظهور والصيت
٢. الأفلام والروايات التي تمرر القيم الثقافية الغربية بصورة غير مباشرة، وليس هذا مؤثرًا قويًا بنفسه ما لم يكن مصحوبًا بانهزام حضاري داخل نفس المسلم أو شهوات وذنوب تغطي على القلب.
٣. الاحتكاك المباشر بالثقافات الأجنبية الملحدة.
٤. انتشار الشهوات، التي قد تدفع صاحبها إلى التحلل من الدين هربًا من تأنيب الضمير، والإكثار من الذنوب يكون الرين الذي يغطي على القلب فيتأثر بالشبهات بسهولة.
٥. هيمنة النموذج الثقافي الغربي في ظل مغلوبية أهل الإسلام
   - زيجريد هونكة في كتابها الله ليس كذلك تنقل تأثر الإسبانيين بالعرب!
   - ابن خلدون وقاعدة تأثير الغالب على المغلوب.
   - وفقًا لكتاب ينبوع الغواية الفكرية، وسلطة الثقافة الغالبة فأصل الانحراف يعود إلى هيمنة النموذج الثقافي الغربي، وضعف التسليم لله ولرسوله.

مؤثرات داخلية:

١. ضعف اليقين، يظهر ذلك في تأخير الصلوات، ونص الإيمان المجمل لابن تيمية مهم جدًا فاللهم العافية.
٢. المشاكل النفسية والضغوط الاجتماعية التي قد تدفع الشخص إلى السخط على أقدار الله ومن ثم السخط على الله نفسه والكفر.
   - وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ- الحج ١١
٣. أمراض القلوب من الحقد والحسد والغل والكبر وغياب التوكل والحب والرجاء والتعلق بالله.
٤. ضعف أدوات البحث والتوثيق المعرفي.
٥. ضعف أدوات العلم الشرعي التأصيلي الواقي.
٦. الفراغ الكبير عند الشباب.

جوانب النقص في العمل الدعوي

١. تعطل دور القدوات للفجوة التي بين الشباب ومتخصصي العلوم الشرعية.
٢. قلة تنوع الأساليب الدعوية (خطبة أو درس وفقط!)
٣. ضيق مساحة الحوار المستقبل للأسئلة والمشعر بالأمان لدى الشباب.
٤. ضعف حضور سمات الخطاب الديني المؤثر وأهم هذه السمات:

١. الاهتمام بالخطاب العقلي، والغريب أن هناك من يظن خلو الشرع من الأدلة العقلية بل إن الشرع مليء بالأدلة العقلية مثل: أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون!
٢. الاهتمام بطرق مخاطبة العقول
   - طريقة الخطاب وأسلوبه
     - ✓ أسلوب السؤال
     - ✓ استعمال القياس وضرب الأمثلة مثل الإلكترون الذي نؤمن به ولا نراه
     - ✓ بناء المقدمات العامة المتفق عليها أولا
   - طريقة إبطال القول المخالف
     - ✓ التوثق من صحة المعلومات، وإبراز تناقضات المخالف كاستدلال منكر السنة بالسنة
     - ✓ بيان لوازم قوله الفاسدة كالسؤال عن مصير الظلمة لمنكري البعث
   - الحديث عن العقل وأهمية كونه مصدرًا من مصادر المعرفة الإدراكية
٣. الوعي بحقيقة التساؤلات الموجودة بالساحة.
٤. مراعاة أحوال المخاطبين وتفاوت مستوياتهم.
٥. مقابلة الحجة بالحجة ومناقشة القول لا القائل.
٦. الرغبة الصادقة في هداية الناس.

## ٥-كيفية التعامل مع الشبهات الفكرية المعاصرة

قواعد وقائية:

١. الدعاء والابتهال
٢. تعزيز اليقين بالإسلام
   - إشاعة التدبر في آيات الله الكونية، والشرعية.
   - العناية بالكتب التي تبين دلائل صحة أصول الإسلام من القرآن والسنة.
   - الاهتمام بالحديث عن الله وصفاته ومظاهر توحيد الربوبية.
   - عبادات القلوب ولا سيما كتب الإمام بن القيم.
   - قصص المسلمين الجدد وبرنامج بالقرآن اهتديت.
٣. تكوين العقل الناقد
   - العقل الناقد هو عقل يفحص، ولا يقبل دعوى بدون دليل، ولا يقبل دليل فاسد، ولا يرضى بالمغالطات
   - من صور العقل الناقد عندنا في الإسلام علم الحديث
   - العقلية المشككة تولع بلا أدري وربما، فالعقل الناقد لا يتميز بمقدار ما يرده، وإنما بما يلاحظه من عوامل وقرائن تستدعي الرد وأخرى تستدعي القبول.
٤. التأصيل الشرعي
   - المراد بالتأصيل الشرعي هو بناء قاعدة معرفية صلبة من العلوم الشرعية يعتمد عليها المسلم
   - من المهم جدًا الاعتناء بتثبيت الثوابت ومعرفة أدلتها
   - العناية بتقديم مداخل للعلوم الشرعية وهذا ضروري جدًا لفهم العلم ومعرفة مدى أهميته

5. تحديد مصادر المعرفة والتلقي
   - من أكبر مصادر الاضطراب الفكري هو تنوع واختلاف مصادر المعرفة لدي الأطراف المختلفة، فالماديون لا يرون إلا التجربة والحس مصدرًا من مصادر المعرفة، وبالتالي لن يؤمنوا بالدليل العقلاني على وجود الله عز وجل، فضلاً عن رفضهم لعلوم الوحي، فما هي المصادر التي ينبغي الاعتماد عليها؟ وما هي حدود كل مصدر؟
   - هناك فرق بين النص المعصوم والنص غير المعصوم، فالوحي نص معصوم لا خطأ فيه على عكس أفهام البشر، وبالتالي نفهم وجوب التسليم للنص الشرعي على عكس غيره.
6. عدم التعرض لخطاب الشبهات من قراءة الكتب واستعراض التغريدات؛ فالقلوب ضعيفة والشبه خطافة.
7. القراءة الوقائية في كتب الرد على الشبهات بشروط:
   - أن تكون الشبهات في دائرة الخطر
   - الكتب تجمل في عرض الشبهة وتفصل في الرد عليها
   - أن يكون الرد محكمًا قويًا
8. ترتيب هرم الغائيات الكبرى على حسب مراد الله بتقديم مركزية الرحمن على مركزية الإنسان
9. تعزيز البرامج الجماعية المفيدة لأنها تمثل:
   - غناء معرفي وعاطفي
   - قطع الطريق على الفساد فلا يتسلل إلى الاهتمامات
   - فرصة لاكتشاف القدرات
   - الشعور بالثقة والهوية

## قواعد في التعامل مع الشبهات بعد ورودها

1. التوثيق العلمي للمعلومات
   - فقد تكون المعلومة غير صحيحة كالاستدلال على نفي حجية السنة بحرق عمر بن الخطاب صحيفة فيها أحاديث.
   - وقد تكون المعلومة صحيحة لكن بناء الحجة غير سليم عن طريق فهمها فهمًا خاطئًا كالاستدلال بآية ما فرطنا في الكتاب من شيء على نفي حجية السنة، فالكتاب هنا هو اللوح المحفوظ. أو عن طريق التناقض كالاستدلال من السنة على نفي حجية السنة.
2. سؤال المتخصصين
3. مراجعة الجهود السابقة في الرد على الشبهة
4. رد المتشابه إلى المحكم مثل رد بعض الآيات التي ذكر فيها الحديث عن الله بالجمع إلى محكم الكتاب في دعوته للتوحيد.
5. التماسك أمام الشبهة فعدم العلم بوجود جواب لا يعني عدم وجوده.
6. دراسة ومعرفة اللوازم الفاسدة الناشئة عن تبني الفكر المخالف للقرآن والسنة مثل:
   - كيف سيجيب الملحد على مشكلة الشر؟ من سيحاسب الظلمة والأشرار؟
   - من أحدث الكون، ولماذا؟
   - لماذا يبدو الكون منتظمًا ومفهومًا؟
   - كيف تنشأ المعلومات الوراثية الدقيقة داخل النواة؟
7. الوسواس يختلف عن الشبهة فالأول خواطر كثيرة، والشبهة مصدرها واحد معروف وعلاج الوسواس ترك الوسواس وتجاهله.

## قواعد حوارية مع أصحاب الشبهات:

١. استيعاب مذهب المخالف جيدًا بمعرفة حقيقة قوله، وأصول أدلته.
٢. الاتفاق على قواعد الحوار المشتركة ولا سيما مصادر الأدلة فقد لا يوافق مادي تجريبي على أدلة وجود الله العقلية
٣. تحرير محل النزاع بين المتخالفين لأنه كثيرًا لا يكون هناك خلاف أصلا
٤. التنبه لدلائل ومقدمات القول المخالف من جهة صحتها في نفسها، والإشكالات التي قد ترد عليها من سوء الفهم، أو التناقض، أو اللوازم الفاسدة الناشئة عن الأخذ بها.
٥. التنبه من الاستدلال الانتقائي للأدلة والنصوص كمن يستدل بآية قل فأتوا بالتوراة فاتلوها على صحة الدين الكتابي.
٦. لا تدافع فحسب بل اهجم كما يفعل أحمد ديدات رحمه الله
٧. على المدعي الدليل، وعلى الناقل الصحة، وهناك فرق واضح بين العزو وبين صحة النقل

## ٦-إضاءات تهم المدافع عن الإسلام وثوابته

١. استحضار فضل الرد على الشبهات فهو باب من أبواب الجهاد، سلكه الأنبياء من قبل، وقد تكفل الله بنفسه الذب عن دينه وشرعه في كتابه فقال: ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا .
٢. أنت تدافع عن الإسلام لا عن أرائك فانتبه.
٣. أنت لست مسؤولا عن استجابة الناس فلا تذهب نفسك حسرات إن لم يجبك أحد.

# الجزأ الثاني: شبهات حول أصول الإسلام

## ١-أدلة وجود الله سبحانه وتعالى

١. دليل الفطرة

- المعارف الأولية الضرورية التي يولد بها البشر مثل الجزأ أكبر من الكل، وأن لكل حادث محدث، ويستدل بها على وجود الله من جهتين الأولى هي النظر والاستدلال والثانية هي أنها تحصل بغير اكتساب فمن أودعها؟
- الافتقار والحاجة، ودليل الافتقار والحاجة هو أن الأمم السابقة كلها تقريبًا كان لديها معابد وأماكن للعبادة، وأن رسالات الرسل كانت تذكيرية لا تأسيسية.
- الغرائز والقيم الأخلاقية من أوجدها وعلمها المخلوقات؟
- دليل الفطرة مدلول عليه من القرآن والسنة المشرفة، وقد يفسد هذا الدليل كحال المنكرين للمبادئ العقلية إذ أنها تكون هي الأخرى فطرية.

٢. دليل الإيجاد

- الكون حادث؛ لتمدده، وكذلك من القانون الثاني للديناميكا الحرارية.
- لكل حادث محدث.
- الكون والمخلوقات لها خالق أوجدها بعد أن لم تكن.
- الملحدون لا ينكرون حدوثه وإنما يفسرون نشأته بعيدًا عن تفسيرات المنظومة الدينية الغيبية.

٣. دليل الإتقان والإحكام العظيم في كل شيء من أصغر مخلوق إلى أكبره، في المعلومات الوراثية، وفي تركيب الخلية، ووظيفة الأعضاء وفي الكواكب والشموس والنجوم والثوابت الكونية! كل هذا إحكام لا يمكن أن تنتجه الصدفة أبدًا

٤. دليل العناية

- هذا الدليل يوضح العلاقة بين المخلوقات والموارد وبين الإنسان المتقن صنعه
- العلاقة بينهما علاقة تسخير مقصودة لا عبثية؛ فالكون بما فيه من موارد مسخرة لصالح الإنسان.

## ٢-حكمة الله عز وجل

١. الله هو الخالق الواحد الأحد ليس معه شريك ولا ولد.
٢. لله عز وجل صفات الكمال المطلق، فله سبحانه كامل القدرة والعلم والحكمة على عكس الإنسان محدود العلم والحكمة والقدرة.
٣. الإنسان العاجز لا يقدر على إدراك كنه ذات الله ولا حقيقة صفاته بالكلية، وبالتالي فحكمة الله غز وجل لا يدرك الإنسان إلا أيسر الطرف منها.
٤. الإنسان في الأصل مفطور على المعارف الضرورية لتحصيل الإيمان، والله قد أرسل الرسل ومعهم الوحي ودلائل النبوة.
٥. وعليه نقول: إن إيماننا وتسليمنا بما جاء به الوحي ولم نعرف حكمته من أفعال الله عز وجل هو موقف عقلي صحيح.

## ٣-شبهات حول وجود الله

١. من خلق الله؟

- سؤال مغلوط لأنه يقوم يجعل الخالق مخلوقًا ويقوم على التسوية بينهما.
- من لوازم هذ السؤال التسلسل الفاسد إذ لابد من الانتهاء إلى مصدر أول لا بداية له، وأحيانًا قد يصل أمر التسلسل هذا إلى الوسواس، ولهذا جاءت وصية النبي بتركه عن طريق الانتهاء عنه والاستعاذة.
- من أسماء الله الحسنى الأول، وبه كان يدعو النبي.
- قاعدة كل موجود لابد له من موجد غير صحيحة ولكن يقال: كل حادث لابد له من محدث.

٢. دعوى الاستغناء بالقوانين الكونية

- القوانين تصف ولا تفسر، وإلا فهل تخلق قوانين الميكانيكا السيارات؟
- كذلك من الذي خلق هذه القوانين وأوجدها وجعل الكون يعمل وفقها؟

٣. التطور الدارويني

- النظرية عند كثيرين عقيدة لا تقبل النقاش، ولا سيما الماديين المستبعدين لكافة التفاسير الغيبية.
- النظرية نفسها لا تصل إلى حد الحقيقة العلمية وأدلتها متفاوتة في القوة؛ فأدلة التطور داخل النوع الواحد ليست بقوة أدلة التطور من نوع إلى نوع آخر.
- التطور الموجه الذي يقول به بعض المسلمون وحاصله أن الله قد خلق الإنسان بسنة التطور وهم بذلك يخالفون الداروئيين في مبدأ الانتخاب الطبيعي والعشوائية، ولكنهم يقرون لهم بأصل التطور بين الأنواع وفي هذا اصطدام صريح مع نصوص الشرع في خلق الله آدم مباشرة من الطين دون أب أو أم أو تطور من سلالات سابقة.
- نقدت النظرية من كتاب كثر منهم:
  ١. د.مايكل بيهي صاحب كتاب صندوق دارون الأسود
  ٢. جوناثان ويلز صاحبة كتاب أيقونات التطور وفيه أثبتت استغلال خبراء العلم الطبيعي وتوظيفهم العلم توظيفًا أيدلوجيا إقصائيًا عند الحاجة لذلك، كذلك أبرزت فكرة إمكانية تحول العلم الطبيعي إلى أساطير وأيقونات وسرديات.

٤. فرضية الأكوان المتعددة وهي فرضية غير مستقرة حتى إن الفيزيائي الملحد واينزبرج قال عن دليل إثباتها في لقاء مع دوكنز هذا شيء مزعج.

## ٤-شبهات حول الحكمة من أفعاله الله سبحانه

١. لماذا أمرنا الله بالعبادة وهو غني عنا؟

- وفقًا لأدلة الفطرة، والإيجاد، والإتقان، والعناية فالله موجود، وهو سبحانه له صفات الكمال المطلق على عكس الإنسان المحدود العاجز.
- لا يتصور أن تكون العلاقة بين هذا الإنسان العاجز وبين الله الكامل إلا علاقة الخضوع والشكر؛ فالله غني عنا ونحن لا نستغني عنه بأي حال من الأحوال، بل إن الإنسان لو تأمل في ذاته لوجد نفسه في نعم وخير كثير ما قدر على شكر الله عز وجل عليه، بل إن الله لو منعه من هذه النعم لتقصير له في شكره ما ظلمه سبحانه! لذلك قلنا إن الله غني عن العباد ولكن لا غنى للعبد عنه.
- وفوق ذلك أن الإنسان في الأصل مفطور على المعارف الضرورية لتحصيل الإيمان، والله قد أرسل الرسل ومعهم الوحي ودلائل النبوة وبينوا له العلاقة بينه وبين ربه.

٢. لماذا يوجد الشر؟

- أصل هذه المشكلة يعود إلى ما ذُكر عن إيبقور من تقسيمات، ومدار هذا الأمر هو أن يكون الإله عاجزًا في حال إرادته الشر مع عدم قدرته على إزالته، أو أن يكون أشد عجزًا في حال عدم إرادته الشر وعدم قدرته على إزالته، أو هو إله شرير لأنه يريد الشر ولا يريد زواله أو أن هذا الإله لا وجود له؛ لأنه لا يريد الشر ويريد زواله، وحيث أن الشر موجود لا يزول فهو غير موجود. ويمكننا أن نجمل الرد على هذا العرض في النقاط التالية:
- هذه المعضلة تقوم على اختزال صفات الله عز وجل في الرحمة والإحسان فحسب مع تناسي أن الله عز وجل عدل حق حكيم عليم خبير قادر مهيمن عزيز عظيم جبار متكبر غفور شكور وغيرها من الصفات، وبالتالي فلا تلازم بين وجود الشر وعدم الرحمة حيث أن المعترض نظر إليها دون غيرها من الصفات فظن أن الشر مقصود لذاته.
- والله سبحانه له كامل القدرة والعلم والحكمة على عكس الإنسان العاجز الذي لا يقدر على إدراك كنه ذات الله ولا حقيقة صفاته بالكلية، وبالتالي فحكمة الله عز وجل كمال لا يدرك الإنسان منها إلا طرفًا يسيرًا لو استبان له لوقف على حقيقة جهله وضعف إدراكه، وهنا يظهر خطأ بعض من يستدل بجهله بالشيء على انتفاءه، فجهل الإنسان بحكمة الله عز وجل لا يعني انتفاءها، وعدم العلم لا يعني علمًا بالعدم.
- ثم إن الله لما خلق الإنسان لم يجبره على شيء وإنما خلق له الإرادة التي ترجح وجعل له القدرة التي تؤثر فهو إذ حر في الاختيار بين الخير والشر، كما أنه سبحانه لا يحاسبه على ما ليس في قدرته ولا ما ليس من اختياره، وفوق ذلك فهو قد أرسل الرسل التي تبين للناس حقيقة الخير والشر، وهذا مقتضى العدل.
- والمعترض عنده قصور في فهم طبيعة الوجود؛ فكل وجود له طبيعته وكينونته التي بها تستقر الحياة وتتوازن، وعلى ذلك فالشر لا يناقض الخير في الأصل ولكن يكمله، وهذا ما يسيمه العقاد طبيعة التكافل بين أجزاء الوجود ومن أمثلة ذلك أرانب أستراليا حيث استورد المهاجرون إليها أرانب كثيرة لأجل الصيد، فما كان من الأرانب أن كثرت أعدادها فأكلت المراعي لعدم وجود أعداء طبيعيين لها هناك، ولم يمكن الوصول إلى حل إلا بنشر فيروس يعمل كعدو طبيعي يحد من عدد الأرانب! وسفينة الخضر وأفعاله التي ظاهرها الشر وقد علق الفخر الرازي عليها قائلاً: "إن ترك الخير الكثير لأجل الشر القليل شر كثير"، والأب الذي تمنى لو ظل عقيمًا لما عقه ولده في الكبر فيفهم أنه كثيرًا ما يكون في العقم خير!
- كذلك بالتأمل نجد أنه لا وجود للشر المحض وإنما كلها شرور نسبية بها من الحكم ما هو خفيي غير ظاهر، فبالشر تطورت مهنة الطب، وظهر البحث والتجربة، ولو تأملنا في الزلازل والبراكين فكما فيها شر، ففيها خير ونفع كذلك لكثيرين، وبالظلم عرف الناس العدل والخير، وقد قال صلى الله عليه وسلم: والشر ليس إليك.
- والمعترض كذلك عنده قصور في فهم الغاية من الحياة وينسى أنها دار ابتلاء لا جزاء، ومشقة لا تلذذ، وفي هذا يقول الشيخ محمد الغزالي: " آفتكم أنكم لا تعرفون طبيعة هذه الحياة الدنيا، ووظيفة البشر فيها، إنها معبر مؤقت إلى مستقر دائم، ولكي يجوز الإنسان هذا المعبر إلى إحدى خاتمتيه، لا بد أن يبتلى بما يصقل معدنه، ويهذب طباعه، وهذا الابتلاء فنون شتى"
- ومع مزيد من التأمل نجد أن الخير الذي يوجد في الكون أكثر بكثير جدًا من الشر الذي يتكلم عنه المعترضون، بل إن الإنسان لو تأمل في ذاته وما هو عليه لوجد نفسه في نعم مديدة، وخير كثير وفير، وما قدر على شكر الله عز وجل عليه، ولو حاسب الله العباد على تقصيرهم في شكره على تلك النعم بالمشقة والنقم والشرور ما ظلمهم سبحانه.

- ثم إن مشكلة الشر تقوم على القفز الحكمي لأن المعترض يقول إنه لا يستقيم أن يسمح الله الرحيم بوجود الشر، والشر موجود، إذا الله غير موجود، ولا تلازم بين المقدمة والنتيجة، وقصارى ما يمكن أن يجادل فيه المعترض هو صفة الرحمة نفسها وقد استبان غلطه فيها لما تبين جهله بكمال حكمة الله عز وجل.
- وقد أشار الدكتور سلطان العميري للفتة جميلة وهي أن كثير من المعترضين على معضلة الشر أصلاً يقولون بالنسبية في كل شيء وبغياب القيم المطلقة، وبإقرارهم بوجود الشر يعني أنهم يقرون بوجود الخير في الأساس وإلا كيف عرفوا الشر؟! وهذا تناقض.
- هذه بعض الخلاصات الهامة في دفع معضلة الشر، وبالجملة فإن ما يخالف طبيعة الوجود بصفة عامة، وما يخالف محكمات الوحي بصفة خاصة، ترد عليه إشكالات كثيرة ولوازم فاسدة لا يمكنه الخلاص منها بمجرد ترك الإيمان! والسؤال متوجه إلى الذين يقولون بعدم وجود الله عقاب فما مصير مرتكبي الشرور؟ من سيعاقب القتلة والمجرمين على مر العصور؟

٣. لماذا الدعاء وكل شيء مكتوب؟ ولماذا لا يستجيب الله؟

- الدعاء في الأصل هو عبادة من أجل العبادات التي يتوجه بها إلى الله عز وجل وليس مجرد طلب نختبر به الله أو نبتلي وجود به، فالله هو الذي يختبر ويبتلي وليس البشر.
- الذي يقولون إن الدعاء لا فائدة له بحجة أن كل شيء مكتوب لا يقولون لا حاجة لطلب الرزق، مع أن الرزق كذلك مكتوب، ولا يقولون لمن آذاهم شكرًا لكم لأنك فعلتم ذلك لأنك كل شيء مكتوب، بل يطلبون الرزق ويأخذون حقوقهم ممن ظلمهم، فيفهم من ذلك أن الأمر الغيبي لا يحتج به على ترك العمل في الحاضر.
- الله سبحانه قد استجاب ويستجيب لدعاء الكثيرين، والأولى هنا اتهام النفس بالتقصير ومعرفة مكامن الخطأ فيها وحثها على الاجتهاد والقرب من الله.
- يجب استعراض سائر النصوص ومنها سنة الابتلاء مثلا التي لن يزيلها الدعاء بالكلية.
- لا حجة في الاحتجاج على عدم وجود الله بعدم الاستجابة لغياب الترابط والاستلزام.

٤. كيف نجمع بين القضاء والقدر وتعذيب الكافر على كفره

هذا السؤال ظاهره الاعتراض على عدل الله ورحمته، ولكن خلق الكافر وتعذيبه لا يناقض لا عدل الله ولا رحمته:

- فمن جهة العدل فالله عز وجل خلق الإنسان ولم يجبره على شيء، وإنما خلق له الإرادة التي ترجح وجعل له القدرة التي تؤثر فهو إذ حر في الاختيار بين الخير والشر، كما أنه سبحانه لا يحاسبه على ما ليس في قدرته ولا ما ليس من اختياره، وفوق ذلك قد أرسل الرسل التي تبين للناس حقيقة الخير والشر، فالمؤمن والكافر متساويان في مقتضى الإيمان وهذا هو العدل.
- وخلق الكافر لا يناقض رحمة الله عز وجل لأن رحمة الله عز وجل ترتبط بالحكمة التي توجب أن تكون في صفة الرحمة موضوعة في محلها المناسب، والمعترض يعترض عن الترابط الوثيق بينهما ويظن وكأنه يجب على الله ألا يكون إلا رحيمًا متغافلا عن صفاته الأخرى، كما أن وجود الكفر يظهر قدرة الله على خلق المتضادات والمتقابلات، ويظهر أثار أسماءه القهرية، وآثار أسماءه المتضمنة للعفو والمغفرة والحلم والتجاوز.

## ٥-شبهات حول القرآن الكريم

١. ادعاء وجود أخطاء لغوية في القرآن الكريم

غاية ما يريد أن يقوله المشككون أن القرآن هو من وضع النبي صلى الله عليه وسلم، إذ لو كان منزلا من عند الله لما وقعت فيه الأخطاء اللغوية. وهذا مردود من الوجوه التالية:

- لسان النبي محمد هو لسان عربي فصيح في الأصل، وسواء كان النبي هو المتكلم أو أبو جهل الكافر لما وجدنا في كلامهم لحنا، لأن العرب كانت ما تزال على السليقة.
- قواعد النحو قد وضعت بعد القرآن الكريم لا قبله، وبالقرآن نستشهد على صحتها لا العكس.
- لقبائل العرب لهجات ولغات مختلفة جدًا، والقرآن نزل بلغة العرب فلا إشكال، ومن الاختلافات:

  - ✓ الاختلاف في الحركات مثل فتح نون نستعين عند قريش، وكسرها عند أسد وغيرهم
  - ✓ الاختلاف في الحركة والسكون مثل فتح عين معكم، ومرة بتسكينها
  - ✓ الاختلاف في الإعراب مثل نصب وجر المثني والملحق به بالياء في المشهور بلغة العرب، وعند كنانة وبني الحارث وغيرهم فالمثني والملحق به ينصب ويجر بالألف، وعليه حمل قوله تعالى إن هذان لساحران، وقول النبي لا وتران في ليلة.
- الأخطاء التي يدعيها المشككون هي أخطاء سهلة لا يجهلها صبي كرفع معطوف على اسم إن المنصوب مثلا فكيف يقع فيها النبي العربي الفصيح؟ اللهم إن كان فيما يقولونه تجاوز أو عدم فهم لسياق النص، كما كان في قول تعالى: "إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى"، فالصابئون هنا مبتدأ ولكنه مقدم.

٢. ادعاء وجود أخطاء علمية

غاية ما يريد أن يقوله المشككون هو أن القرآن ليس من عند الله لأن فيه أخطاء تخالف المكتشفات العلمية، ويستدلون ببعض الآيات مثل:

- آية الكهف أن ذي القرنين قد وجد الشمس تغرب في عين حمئة، والشمس أكبر من الأرض فكيف تغرب فيها. وفهمهم هذا قاصر لأن الله وصف رؤية ذي القرنين ولم يبين حقيقة الأمر في نفسه، أي أن المراد بالآية هو ما يبدو للناظر.
- الآيات التي تحدث عن مد الأرض وبسطها ومعروف أن الأرض كروية، فكيف ذلك؟ ولكن فهمهم هذا قاصر كذلك لأن علماء الإسلام نقلوا الإجماع على كروية الأرض كالرازي وابن حزم، ولا تعارض بين مد الأرض وبسطها وبين كونها كروية يقول الرازي: لأن الأرض جسم عظيم والكرة إذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح.

٣. ادعاء أخطاء في القرآن بسبب وجود آيات متعارضة

غاية قولهم هو أن القرآن لم يصدر عن إله كامل وإلا لما وجد فيه التناقض، وكلامهم خطأ لأن المقدمة نفسها خطأ وهي وجود التناقض، وغاية ما يستدلون به هو إيرادهم آيات يظنون أنها تدلل على التناقض لجهلهم بدلالات ألفاظ اللغة، وبمجموع النصوص الواردة في الموضوع الواحد.

## ٦-شبهات حول الرسول صلى الله عليه وسلم

١. التشكيك في صحة نبوته:

يمكننا الرد على هذه التشكيكات عن طريق إيراد دلائل النبوة العقلية والنقلية، وهي كالتالي:

١. برهان الصدق والأخلاق، فمن جهة الصدق فلا أحد يدعي النبوة إلا وهو إما أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، لأن الدعوة عظيمة ويتميز فيها الكاذب بسهوله، ومن جهة أخلاقه فلم يعرف عنه كذبًا قط بل شهد له الجميع بالصدق والأمانة والمروءة وشواهد صدقه كثيرة مثل:

- دعوة النبي لقومه بقوله: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي، قالو: ما جربنا عليك كذبا: قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، وكذلك حديث الإفك، وموت إبراهيم وكسوف الشمس في نفس الوقت.
- سؤال هرقل لأبي سفيان: هل كنتم تتهمونه بالكذب، فأجاب أن لا فعلق هرقل بأنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله.
- عتاب الله في القرآن في أكثر من موضع (ابن أم مكتوم، زواجه من زينت، تحريم الجارية على نفسه)

٢. برهان القرآن على صدق نبوته

- لم يكن النبي يقرأ ولا يكتب ولا عرف عنه نظم الشعر وتحدي العرب على أن يأتوا بسورة واحدة من القرآن ولم يقدروا على الرغم أنهم كانوا على غاية من الفصاحة والبيان.
- أخبار الغيب في القرآن المستقبلية قبل وقوعها، كالوعد بالنصر للإسلام، وذكر خبر انتصار الروم على الفرس بعد غلبهم، وتعهد الله بحفظ القرآن.
- قصص الأمم السابقة إذ كيف لنبي لا يقرأ ولا يكتب ولا احتكاك له باليهود أبدًا أن يأتي بها؟ هو الوحي إذن.

٣. برهان كمال التشريعات والعقائد والآداب

جاء الإسلام بتشريعات وأحكام، وعقائد تبين صفات الرب وعلاقة العبد به، وآداب كثيرة تنتظم تحت منظومة قيمية سلوكية تصلح للفرد والمجتمع، كل هذا كان على لسان النبي محمد صلى الله عليه وسلم وحده، وليس العجيب في كثرتها بقدر كونها شاملة محيطة صالحة متقنة، والأعجب من السابق ذكره هو أن النبي نفسه كان منشغلاً بدعوة قومه، وعرض نفسه على الحجاج، والبحث عن المأوى، ومتابعة شئون أصحابه، وبأزواجه التسعة، وفي الحكم والقضاء، وقيادة الجيوش، والغزوات، وموت أقاربه وأبناءه! كل هذه التشريعات التي ضاقت المكتبات على حمل ما كتب في تخصص واحد منها فقط كالأحكام الفقهية مثلا لا يمكنها أن تنشأ عن شخص غير متفرغ إلا إذا كان يوحى إليه من الله.

٤. برهان المعجزات الحسية كحنين الجزع له، وتحرك الشجر بين يديه ليستره، وتكثير الماء والطعام، وهذه كلها حقائق تاريخية وردت لنا عن طريق الخبر الصادق الذي عن طريقه علم الناس اشتهار أرسطو بالفلسفة، وحاتم الطائي بالكرم.

٥. برهان تبشير النبوات السابقة به.

- أخبر القرآن أن موسي وعيسى قد بشرا برسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم.
- التحريف في الكتاب المقدس لم يكن قبل البعثة بل طال ترجماته إلى العربية كذلك، ومع ذلك ما زالت توجد نصوص في الكتاب المقدس فيها تصريح باسم النبي، ومكة، وبجبال مكة والتصريحات تلك محرفة في الترجمة العربية عن معانيها الأصلية.

٢. التشكيك عن طريق إثارة الشبهات حول مواقفه مثل:

١. الزواج من السيدة عائشة وهي في التاسعة ومجمل الرد على هذه الشبه أن السيدة عائشة لم تتضرر لا نفسيا ولا جسديًا من ذلك، كما أن هذا زواج لم يعارض الأعراف المجتمعية، بل إن اليهود والمشركين كانوا أولى بإثارة الشبهة من غيرهم، والعالم الغربي اليوم يتيح العلاقات الزوجية فيما دون سن الزواج القانوني عندهم وقد كان مسموحًا عندهم الزواج من سن الحادية عشرة.

٢. حادثة بني قريظة ومجملها أن النبي قتل أربعمائة مقاتل منهم في يوم واحد، وسبي نسائهم وذراريهم وسبب ذلك إجمالا هو خيانتهم للعهد الذي كان بينهم وبين النبي وممالأتهم أحزاب الكفار على المسلمين، والذي

حكم فيهم بذلك هو سعد بن معاذ مولاهم قبل الإسلام، وهم الذين اختاروا حكمه ومع ذلك فالنبي لم يقتل سوى المقاتلين منهم فقط.

٣. زواج النبي من صفية بنت حيي بن أخطب وأنه لم يستبرئها، ولكن هذا افتراء بل إن النبي خرج بها حتى بلغ سد الروحاء فحلت فبني بها، كما أنها كانت راضية جدًا فرحة برسول الله، ولا اعتبار للقول الذي يرى أنه اعتراضها لم ينقل لأن السيرة النبوية نقلت ما قالته ابن الجون إذ استعاذت من رسول الله فقال لها لقد عذت بعظيم الحقي بأهلك.

## ٧-شبهات حول التشريع الإسلامي

١. ادعاء مظلومية المرأة في الإسلام ولا سيما في قضية الميراث وإجمالا نرد عليهم بالتالي:

١. الميراث حالاته متعددة وهناك صور ترث فيها المرأة مثل الرجل أو أكثر منه مثل المرأة التي ماتت ولها بنت وزوج فالبنت تأخذ أكثر من الذكر هنا، والأخوة من الأم في حالة الكلالة يتساوى الرجل مع المرأة، والأب والأم متساويان إن كان للزوج ولد.

٢. الذكر وإن أعطي في بعض الحالات ضعف الأنثى فإنه مطالب بالمهر والنفقة!

٣. منشأ استنكارهم قائم على أصل فاسد وهو التساوي المطلق بين الذكر والأنثى في كل شيء وهذا مخالف لطبيعة المرأة، ولذلك فالإسلام قد شرع لهم وخفف عنهم ما لم يشرعه للرجال كالتزين بالذهب والحرير، وأسقط عنها وجوب الجمع والجماعات في المساجد، ولا يجب عليهم النفقة ولا الجهاد وتسقط الجزية عن نساء غير المسلمين!

٤. لدي هؤلاء المشككين أغلاط منهجية وثغرات كثيرة في خطابهم؛ فهم يخلطون بين مقام عادات المنتسبين للإسلام الظالمين للمرأة وبين مقام حكم الإسلام نفسه، وكذلك يتجاهلون جوانب الإكرام الإسلامي للمرأة وحقها المعظم في القرآن والسنة من فحق الأم مقترن بحق التوحيد وشكر الله، وقد جعل النبي الأم أحق الناس بحسن صحابة الولد! ويتجاهلون الآثار السيئة عن تجاهل تشريعات الله كإجهاض الأجنة بغير حق! فبأي ذنب قتلت؟!

٢. شبهات حول الجهاد في الإسلام

الأصل الذي ولد الإشكال عند المشككين هو غياب مفهوم البعد القيمي للأفعال، فهم يظنون أن هدف الإسلام هو القتل وإفناء الكفار فيوردون على ذلك الشبه ومجمل الرد عليهم يكون في التالي:

- البعد القيمي لمنظومة الجهاد في الإسلام هو أن المسلمين يوقنون بكون دين الله هو الدين الحق، وما دونه هو الباطل، وأن دافع القتال هو أن تكون كلمة الله هي العليا، وإنقاذ الناس من النيران، والتخلية بينهم وبين الاختيار بزوال الطغاة المتسلطين على العباد كما قال ربعي بن عامر رضى الله عنه لرستم قائد الكفار جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.
- ثم إن المشككين يتجاهلون جوانب الرحمة في الجهاد الإسلامي من عدم جواز قتل النساء والأطفال وتحريم الغدر والتمثيل، وتحريم قتال من دفع الجزية، والحث على إكرام الأسير، وتأمين المحارب الذي يطلب الأمان! وأيما أحد خالف تلك المبادئ فهي مشكلته لا مشكلة الدين! ويظهر ذلك في:
- عدم التفرقة بين مقام حكم الإسلام ومقام أفعال المنتسبين للإسلام أنفسهم فيأخذون تصورهم عن شعيرة الجهاد من خلال أخطاء بعض الجماعات الجهادية والقتالية. والصواب أن أعمالهم تعرض على الإسلام لا العكس.
- وكذلك يتجاهل المشككون كذلك ما حدث من غير المسلمين من قتل وذبح لملايين البشر ثم هم ينصبون مجانيق شبهاتهم المردودة على الإسلام.

## الجزأ الثالث: شبهات يراد بها التشكيك في الثواب الشرعية من الأحكام والأخبار المتفق عليها عند أهل السنة والجماعة

من ضبط دلائل حجية السنة والعلاقة بين العقل والنقل، وبين العلم التجريبي والنقل، فإنه يستطيع أن يضبط ردوده على الشبهات المثارة حول الثوابت الشرعية.

### ١-شبهات حول السنة النبوية

ترجع الإشكالات المثارة على حجية السنة إلى خمسة أمور:

١. الاستغناء بالقرآن عنها

ويستدل أصحاب هذا الرأي بآيات قرآنية مثل ما فرطنا في الكتاب من شيء، وآية ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء، وبأية أفغير الله أبتغي حكمًا، ويمكن إجمال الرد عليهم ببيان فساد فهمهم للآية وبإيراد الأدلة المؤكدة على حجية السنة نفسها:

- والمراد بالكتاب في الآية الأولى هو اللوح المحفوظ وسياق الآية يؤكد علي ذلك، أما تبيانًا لكل شيء فمعناه بيان كثير من الأحكام والإحالة فيما بقي منها على السنة لأن القرآن قد بين وجوب طاعة الرسول واتباعه، وآية اتخاذ الحكم يستدل بها المخالفون على حرمة اتخاذ السنة حكمًا من دون الله، ولكن هذا فهم قاصر ضعيف لأن الآية معناها نفى كون غير الله حكمًا بين النبي وبين الكفار، وكذلك يمكن أن يرد عليهم ويقال إن القرآن قد حث على اتخاذ البشر أنفسهم حكامًا للصلح بين الناس، والآيات قد أمرت بالتحاكم إلى النبي عند التشاجر فهل يأمر الله المؤمنين بالكفر في كتابه!
- ويمكننا أن نثبت حجية السنة عن طريق التالي:
  - ✓ آيات القرآن التي تأمر بطاعة الله وطاعة الرسول ولا سيما التي جاءت في سورة النساء مثل قوله تعالى: "وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول"
  - ✓ الأحاديث النبوية المشرفة (ويستدل بها على من يستدل بالسنة على نفي حجيتها) حيث يقول صلى الله عليه وسلم في مسند الإمام أحمد: ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا أني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل ينثني شبعانًا على أريكته يقول: عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه"
  - ✓ الإجماع على حجيتها وقد نقله الكناني وبن عبد البر

٢. التشكيك في حجية أحاديث الأحاد

أحاديث الأحاد هي الأحاديث التي دون التواتر، وخلاصة الإشكال الوارد عليها يقوم على مقدمتين الأولى هي أن أحاديث الأحاد لا تفيد إلا الظن، ثم ادعاء أن الظن كله مذموم مدفوع، ووجه الإشكال وارد على المقدمتين من خلال الأوجه التالية:

- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل الحكم على الأمم في أصل الدين بقول صحابي واحد من أصحابه يرسله إليهم ويرجع بردهم عليه إليه، وكذلك في الواقع فإننا نقبل اليقين في كثير من أخبارنا اعتمادًا على خبر الأحاد.
- اتباع الظن ليس مكروهًا في كل آيات القرآن الكريم، لأن الظن أتى بمعنيين وهما الوهم واليقين ولا يجوز حمل ومقارنة ظن المشركين المذموم بظن أخبار الآحاد الصحيحة، ودليل ذلك أن الله قد شرع قبول شهادة الآحاد في القرآن فهل شهادتهم غير يقينية؟ وإن كانت ظنيه فهل هي مردودة لا تقبل؟
- نقل القرطبي وبن حزم الأجماع على قبول خبر الآحاد الصحيح.

٣. التشكيك في موثوقية نقلة السنة ورواتها والصحيح أن علم الجرح والتعديل بقواعده وضوابطه هو الميزان في قبول الرواية من عدمها، لا مجرد بضع الروايات المنقولة الطاعنة في الرواة والتي لا تثبت من حيث صحة الإسناد، ولذلك فإننا نقل البخاري ومسلم عن ناس من مختلف العقائد شريطة العدالة والصدق.

٤. النهي عن كتابة السنة

- الإشكال الوارد على هذه الشبهة أن فيها استدلال بالسنة على نفي حجيتها!
- النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر بحفظ الحديث وتبليغه وأيد عبد الله بن عمر في كتابته للأحاديث وقال له "اكتب فالوذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق، وأشار إلى فيه" فلماذا الانتقائية؟
- النهي عن الكتابة ليس فيه دلالة على نفي الحجية، بل إن النبي قال في حديث النهي نفسه وحدثوا عني.
- يرى الإمام البخاري أن النهي عن الكتابة لا يصح مرفوعًا إلى النبي وأن الصواب أنه من كلام أبي سعيد الخدري، وبعض أهل العلم يرى أن الحديث منسوخ بأحاديث السماح بالكتابة.
- الإشكال الوارد على تأخر تدوين السنة مبني على تصور ناقص لطريقة توثيقها.

٥. التشكيك في علم الحديث ومناهج المحدثين

لابد من تصور وفهم علم الحديث؛ لأنه هو أداة الحكم على صحة الأخبار النبوية، ومن دلالة دقة هذا العلم هي شروط الحديث الصحيح الخمسة الموضوعة: العدالة والضبط والاتصال في السند، والسلامة من الشذوذ والعلة، والتفاصيل كثيرة في كل شرط! وأغلب المشككين في السنة لا يملكون تصورًا واقعيًا عن واقع الرواية والرواة ولا عن العلم المتعلق بذلك، فكيف لا يكون لأحدهم أي تصور عن تلك الشروط وتفاصيلها ثم يتكلم في صلاحية الأحاديث من عدمها.

٦. استشكال أحاديث صحيحة بدعوى التعارض

المشكل أن هذا الأمر لا يعرض في صورة السؤال والتفهم ولكنه يعرض بصورة فوضوية تنطوي على استجهال أئمة المسلمين السابقين مع أن العلماء قد أفردوا لذلك الأمر مباحث تخصها منها مبحث التعارض بين الأدلة في كتب الأصول، ومبحث مختلف الحيث في علوم الأحاديث.

## ٢-شبهات حول الإجماع

- الإجماع هو اتفاق مجتهدي هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم على حكم شرعي ما، والإجماع إن وقع فهو يعتمد على نص شرعي، ومن غير الممكن بل من المحال أن تجمع الأمة على حكم ما لا يخالفها فيه أحد ثم يأتي بعد أربعة عشر قرنًا من يرى في هذا الحكم رأيًا آخر فما الذي تخلف عن الصحابة والسلف واكتسبه المعاصرون؟ ولا سيما أن السلف لم يتأثروا بضغط المؤثرات الخارجية وهم معهم عامل الصحبة والقرب من العهد النبوي.
- أي إشكال يورد على حكم مجمع عليه يضع المشكك أمام ثلاثة احتمالات فإما أن المجمعون من سلف الأمة لم يفهموا هذا النص ولا الإشكال الوارد عليه، أو فهموه وكتموه فنفذوا عكسه، أو أنهم علموا من تفسير النصوص ما لا يعارض الإجماع، والأخير هو الصواب.
- المخالفون والمشككون في الإجماع إما أن يدعوا معارضته لنص صريح أو يدعو عدم ثبوته في الأصل وأكثر ما يستدلون به ها هو مقولة الإمام أحمد من ادعي الإجماع فهو كاذب، وفهمهم للمقولة خطأ يتضح ذلك من خلال التالي:
    - ✓ الانتقائية لعبارات الإمام؛ فالإمام نفسه أقر بالإجماع في نجاسة الدم، وكذلك نقل عنه الإجماع في آية الأعراف " وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا" قال: أجمع الناس أن هذه الآية في الصلاة.
    - ✓ مقصد الإمام من العبارة كان الورع إذ ربما قد يخفى على العالم الخلاف، أو أنه قصد به الرد على المعتزلة والجهمية الذين كانوا يدعون الإجماع وهم على جهل بكلام السلف السابق لكلامهم.

## ٣-اشكال حول منهجية فهم النص الشرعي

يدعي المشككون هنا وجود فهوم مختلفة للنص الواحد وأن لكل قاري أن يأخذ ما يريد دون تخطئة الآخر، ولوازم هذه الطريقة فاسدة؛ لأنه في النهاية ستنتفى صفة القطعية عن النص، وسيفهم الزنا المحرم على أنه مجرد الاغتصاب أو الخيانة الزوجية كما فعل محمد شحرور، وهلم جرًا.

## ٤-إشكالات حول الحدود الشرعية

١. حد الرجم

- المستند الظاهر لمنكري حد الرجم هو كونه عقوبة لم تأت في القرآن الكريم، ويدعي كثير من المؤمنين بحد الحرابة أن حد الرجم حد وحشي، وحد الحرابة هذا فيه قطع ليد وقدم المذنب من خلاف، ويبدو أنه أكثر وحشية لو قلنا بكلامهم، وكان الأولى بهم أن يقولوا ما أبشع الزنا من المحصن حتى يتم رجمه هكذا! ولكن منشأ الإشكال الرئيسي هو طغيان ثقافة مركزية الإنسان التي تنشرها الثقافة الليبرالية الغربية، والدليل أن هذه الإشكاليات لم تظهر إلا في العصر الحديث، كما ظهر في عهد طغيان الاشتراكية من يفسر الإسلام تفسيرًا يتوائم معها.
- الرجم ثبت عن النبي بالسنة القطعية ونقل بن عبد البر، وبن قدامة، وبن بطال الإجماع على ذلك، ومع ذلك فإن الحد لا يكاد يتحقق إلا بالاعتراف، وإن اكتشف فالأفضل الستر لا التبليغ عنه وأي إشكال سيرد على هذا الحكم هو إشكال وارد على إجماع السلف عليه.
- يستند المنكرون إلى آية النساء في نفي حد الرجم إذ يقولون إن المرأة ورد فيها نصف ما على المحصنات من العذاب والرجم يؤدي إلى الموت وهو لا ينتصف، والمشكل هنا هو قصور فهمهم لمعنى المحصنات حيث ظنوا معناها المتزوجات والحقيقة أن معناها الحرائر والدليل أن الله قال عمن يحل الزواج منه: "والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم" فكيف يبيح القرآن الزواج من متزوجة ؟! ففهم أن المحصنات لها معنيان ومعناها في آية الحد هو الحرائر، وحد الزنا للحرة الغير متزوجة مائة جلدة لا الرجم أي أن الأمة إذا زنت فحدها نصف حد الحرة الغير متزوجة.

٢. عقوبة الردة

- المستند الظاهري لمنكري عقوبة الرد هو أنها تخالف مبادئ التسامح الإسلامية، ولكن منشأ الإشكال الرئيسي هو طغيان ثقافة مركزية الإنسان التي تنشرها الثقافة الليبرالية الغربية، والدليل أن هذه الإشكاليات لم تظهر إلا في العصر الحديث، كما ظهر في عهد طغيان الاشتراكية من يفسر الإسلام تفسيرًا يتوائم معها.
- عقوبة الردة ثابتة بنصوص صريحة، وبفعل الصحابة، وبالإجماع وقد ذكره بن قدامة المقدسي، وابن تيمية وأي إشكال يرد على هذا الحكم هو إشكال وارد على إجماع السلف عليه.
- يستدل المنكرون لعقوبة الردة بآية لا إكراه في الدين، والصواب المنقول عن علماء الإسلام أنها نزلت فيمن حل أخذ الجزية منه ورضي بحكم الإسلام، أي: من حل أخذ الجزية منه يظل على كفره كما شاء، وليس معناها: من ارتد عن دينه فهو حر، وبالتالي فمتعلق الآية غير متعلق ردة المرء عن الإسلام.

٥-شبهات حول عدالة الصحابة

- المقصود بالعدالة هي ملكة تحمل صاحبها عدم اقتراف الكبائر وتمنعه من الرذائل، والصحابة كلهم عدول أجمعت الأمة على ذلك، والإجماع مستقر قبل أن يخالف فيه المازري والتفتازني، والعدالة الثابتة للصحابة تختلف عن تلك الثابتة للبشر من جهة أنها ثابته بالخبر الإلهي لا النظر البشري.
- دلائل العدالة في القرآن كثيرة تفهم من تزكية الله لنواياهم ومقاصدهم، ورضاهم عنه، وكتابة المغفرة والأجر لهم، ووعدهم بالحسنى، ووصفهم بالفلاح، والشهادة لهم بالإيمان. وفي حديث النبي أفضل القرون قرني.
- يطعن بعض المشككين في عدالة الصحابة اعتمادًا على ما دار بينهم من قتال، أو وقع من بعضهم من آثام، ولكن هذا الطعن في العدالة غير صحيح للوجوه التالية:
  - ✓ العدالة لا تعني العصمة، ومن الطبيعي أن يخطأ الصحابة في بعض الأمور ولا يصيبون؛ فهم بشر.
  - ✓ المواقف التي يدعي المشكك انتفاء العدالة بها هو انتفاء ظني لأنه قد يكون الصحابي مجتهدًا متأولا فيها، وقد يكون لم يصله نص النبي في المسألة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو له خطأه ذلك كحال حاطب بن بلتعة الذي قال فيه النبي عن ربه: "اعملوا ما شئتم قد عفرت لكم" وهو قد حاول أن يراسل المشركين في مكة يخبرهم بمسير النبي إليهم.
  - ✓ عدالة الصحابة أمر يقيني ثابت لا يدفع بالانتفاء الظني السابق.
  - ✓ لو ثبت أن الشارع قد أطلق وصف الفسق على أحد من صحب رسول الله فهو وصف خاص به، لا بغيره من عموم الصحابة.

# الجزأ الرابع: خلاصات فكرية مهمة

## الخلاصة الأولي: في العقل والشرع

- العقل حين دلنا على الشرع دلنا على صفة لازمة فيه وهي العصم من الخطأ والنقص، في حين لم يعترف العقل لنفسه بذلك.
- الأفهام متفاوتة على حسب الظروف والنشأة والخبرات.
- للعقل حدود وهذا مفهوم جدًا في عدم إدراكه لحقيقة الغيبيات.
- الشرع يخبر بمحارات العقول لا محالات العقول.

## الخلاصة الثانية: في التعارض بين العلم الطبيعي والدين

- نشأ العلم المادي في العصر الحديث على إثر صراع مرير بين العلم وبين الكنيسة ورجالاتها، وهذه ظروف أدت إلى انتحاء العلم المادي بعيدًا عن كل ما هو ديني أو غيبي.
- يظن البعض أن العلم المادي لم ينطلق إلا بالتحرر من الدين بصفة عامة، وهذا خلط بين الظروف والسياقات التاريخية، لأن الدين الإسلامي يقوم على معطيات عقلية ودلائل برهانية لا تتعارض مع المعطيات التجريبية الصحيحة الثابتة وليس كحال الدين الكنسي ذلك الزمن.
- يظن البعض أن المجتمع العلمي التجريبي هو مجتمع محايد، ولكن هذا غير دقيق لأن المسيطر على هذا المجتمع هو النزعة المادية التي تبحث عن التفسير المادي، وفي حال غياب التفسير المادي فإنها تفترض له افتراضات مادية محتملة.
- العلم المادي تتجدد تجاربه، وتتصحح نظرياته بمرور الوقت بخلاف العلوم الدينية.
  - ✓ تجربة مايكلسون ومورلي التي قضت على مفهوم الأثير
  - ✓ اكتشاف عالم الذرة الذي لا يخضع للقوانين النيوتنية

## الخلاصة الثالث: في قضية الحرية في الإسلام

- باب الحرية في الإسلام هو باب شرعي سمعي، يقوم على تتبع النصوص الشرعية والتأليف بينها حتى يحسن فهمها جيدًا.
- لابد من التفريق بين معالم الحرية النابعة من مصادرها الأصلية في الشريعة، ومعالم الحرية المتكونة تحت ضغط الثقافة الغربية وهذه نعمل الفقه في أمرها فما لم يخالف المصدر الأصلي قبل وما خالفه رفض.
- أصل الحرية في الإسلام هو تحرير الإنسان من عبادة المال أو الشهوة أو أي شيء يقدح في أصل توحيد الله وإفراده بالعبادة.
- مساحات الحرية في الإسلام ليست على نوع واحد ويمكننا أن نختصر ذلك في مقامين هما مقام الاعتقاد النفسي الخاص، ومقام الدعوة والتبشير، فالإسلام يقبل وجود الكفار على أرضه، لكن لا يقبل الدعوة إليه والتبشير به. ومن هنا يفهم خطأ من يستدل بتعايش الكفار مع أهل الإسلام بالمدينة على حرية الكفار في التبشير بمعتقداتهم.